

## دور القنصلية البريطانية في جدة من خلال وثائق الأرشيف البريطاني (١٨٧٩-١٨٨٤م/١٢٩٧-١٣٠٢هـ)

إن الهدف من هذه الدراسة الوثائقية هو تسليط الضوء على الدور السري للقنصلية البريطانية في جدة في الفترة من عام (١٨٧٩-١٨٨٤م/١٢٩٧-١٣٠٢هـ) أي خلال الحكم العثماني المباشر للحجاز وذلك من خلال تقارير وخطابات القناصل أو نوابهم في القنصلية البريطانية بجدة. والواقع إن مصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية فرضت عليها الاهتمام بالبحر الأحمر<sup>(١)</sup> والذي اعتبرت جدة أحد أهم موانئه، فإستراتيجياً مثلت جدة لبريطانيا مركزاً مهماً في الطريق إلى الهند المحتلة من قبلها، كما أنها وجدت في ميناء جدة

(١) أدركت بريطانيا أن رعاية مصالحها الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية في البحر الأحمر تستوجب عليها السيطرة على عدن عام (١٨٣٩م/١٢٥٥هـ) ويدفعها إلى ذلك هدفان أولهما القضاء على مشروع محمد علي باشا التوسعي وثانيهما استخدام عدن محطة لتموين سفنها البخارية بالفحم وزاد اهتمام بريطانيا بالبحر الأحمر بعد افتتاح قناة السويس عام (١٨٦٩م/١٢٨٦هـ) مما دفعها للسيطرة على القناة ومصر عام (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) والتدخل في شؤون السودان. وعليه، فإننا نجد أن الأحداث السابقة حتمت على بريطانيا ضرورة الاهتمام بميناء مهم كميناء جدة يستطيع قناصلها فيه رصد ما لم يتم رصده في السويس أو عدن. ولمزيد من المعلومات في الموضوع انظر: أباطة، فاروق عثمان. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

الدكتورة: سلوى

سعد سليمان

الغالي \*

\* بكالوريوس في

التاريخ - كلية

الأداب - جامعة

الملك عبدالعزيز،

١٤٠٦هـ.

- ماجستير في

التاريخ الحديث

من الجامعة

نفسها، ١٤١٠هـ.

- دكتورة في

التخصص

والجامعة نفسها،

١٤٢٠هـ.

- تعمل الآن أستاذاً

مشاركاً بجامعة

الملك عبدالعزيز

بجدة.

الدراسية

السنة : الرابعة عشرة

العددان : الثالث والرابع والخمسون

رجب ١٤٢٣هـ

يونيو ٢٠١٢م

٣٠٣

ملجأ لتمويل سفنها بالفحم إضافة إلى ما حققته من أرباح من وراء تجارة رائجة فيها. هذا فضلاً على أن جدة التي اعتبرت بوابة مكة المكرمة أقدس البقاع لدى مسلمي العالم ومنهم الهنود الذين كانت بريطانيا تحكم الملايين منهم، مما جعلها تولي اهتماماً خاصاً بما يجري في الحجاز، ففي كل عام يأتي من المناطق التي تحت نفوذها الآلاف من المسلمين لتأدية فريضة الحج بالإضافة إلى وجود جالية إسلامية كبيرة من رعاياها تقيم في الحجاز بصفة دائمة وتزاول مختلف الأعمال؛ لذا كان لابد لها من ممثل في الحجاز يهتم بشؤون رعاياها ويسعى لدى السلطات المحلية العثمانية من أجل إيجاد كل ما من شأنه ضمان سلامتهم وأمنهم وحفظ حقوقهم. لقد كان حق تعيين من سيقوم برعاية المصالح البريطانية في جدة<sup>(١)</sup> حتى عام (١٨٢١م/١٢٣٧هـ) محصوراً بيد شركة الليفانت البريطانية<sup>(٢)</sup> The Levant Company ولذلك فإنه مسؤول أمامها وليس أمام وزارة الخارجية التي ليس لها سلطة مباشرة عليه. هذا الوضع تغير بعد انحلال شركة الليفانت عام (١٨٢١م/١٢٣٧هـ)، وأصبح القنصل يعين من قبل شركة الهند الشرقية East India Company ولكنه مسؤول أمام وزارة الخارجية البريطانية ومترتب بها لا بالجهة التي عينته على أن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً فبعد مدة وجيزة

(١) نصت معاهدة الامتيازات الأجنبية التي عقدت بين الدولة العثمانية وفرنسا عام ١٥٣٦م/٩٤٢هـ في مادتها الخامسة عشرة على أن تستفيد بريطانيا من الامتيازات - التي منحها السلطان سليمان القانوني لرعايا فرنسا في الدولة العثمانية - شرط التصديق على المعاهدة ولكن السفن البريطانية استمرت تبحر في الموانئ العثمانية تحت الأعلام الفرنسية وفي عام ١٥٥٣م/٩٦١هـ استطاع التاجر الإنجليزي إنطوني جنكنس An- thony Jenkinson الحصول على موافقة من السلطان سليمان القانوني على الاتجار داخل ممتلكات الدولة العثمانية على قدم من المساواة مع البنادقة والفرنسيين (منح السلطان سليم الأول عام ١٥١٧م/٩٢٢هـ البنادقة امتيازات عدة) وفي عام ١٥٨٠م/٩٨٨هـ عقدت أول معاهدة امتيازات بين بريطانيا والدولة العثمانية ضمنت من خلالها بريطانيا حق تعيين قناصل في أملاك الدولة العثمانية لتولي شؤون القنصلية وحماية رعاياها في الدولة العثمانية. انظر: الشناوي، عبدالعزيز. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - القاهرة: الأنجلو المصرية، (د.ت)، ج٢، ص ٧١٤-٧١٦.

(٢) شركة الليفانت: شركة إنجليزية صدر عقد تأسيسها الأول عام (١٥٨١م/٩٨٩هـ) مارست اختصاصات سياسية وتجارية واسعة وكانت ترشح سفراء بريطانيا في إستانبول وتدفع مرتباتهم بل إن جميع قناصل بريطانيا وموظفيها الدبلوماسيين في ممتلكات الدولة العثمانية كانوا يعدون مستخدمين في الشركة ويتقاضون منها مرتباتهم. انظر: الشناوي، عبدالعزيز. الدولة العثمانية دولة إسلامية، ج٢، ص ٧١٧.

من مقتل المستر بيچ Page في اضطرابات جدة عام (١٨٥٨م/١٢٧٥هـ)<sup>(١)</sup> وهو ممثل الشركة ونائب القنصل في الوقت نفسه<sup>(٢)</sup>. صار تعيين القناصل وعزلهم من مسؤوليات

(١) تعود أسباب هذه الاضطرابات إلى ثورة أهالي جدة بسبب إهانة نائب القنصل البريطاني لعلم الدولة العثمانية مما أدى إلى مقتل كل من نائب القنصل البريطاني ونائب القنصل الفرنسي وتسبب هذا في أن تقوم سفينة حربية إنجليزية بضرب ميناء جدة؛ إلا أن السلطات العثمانية المحلية تدخلت مع بعض الأهالي في إقناع قائد السفينة بالكف عن ذلك حتى تصدر أوامر السلطان بشأن الحادث وبالفعل وصلت إلى جدة في تلك الأثناء لجنة مفوضة من السلطان بالتحقيق في الحادث وهي من الأتراك والإنجليز والفرنسيين وتنفيذ ما تحكم به، وظهر أن وراء الثورة الشيخ عبد الله المحتسب، وكبير الحضارم سعيد العامودي، وقاضي جدة عبد القادر شيخ، والشيخ عمر بادرب، والشيخ سعيد بغلف، وشيخ السادة عبد الله باهارون، والشيخ عبد الغفار، والشيخ يوسف باناجة فحكمت اللجنة بإعدام المحتسب والعامودي، وكان النفي والغرامة من نصيب الناجين من الإعدام. ولمزيد من المعلومات انظر: الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام - ط ١ - القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ)، ص ٢٢٢. المغربي، محمد علي. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية - ط ١ - جدة: دار البلاد، ١٤١٠هـ)، ج ٢، ص ٨٧-٩٠، ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٤. السباعي، أحمد. تاريخ مكة - ط ٨ - مكة المكرمة: الصفا، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ٥٣٤-٥٣٦. الأنصاري، عبد القدوس. موسوعة تاريخ مدينة جدة - ط ٢ - القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٩٤-٩٥. المكي، عبد الفتاح حسين رواه. تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام - الطائفة: المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) اختلفت المراجع في تحديد العام الذي بدأ فيه التمثيل القنصلي البريطاني في جدة فذكر لنا أحمد السباعي في مؤلفه «تاريخ مكة» أن وصول أول قنصل إنجليزي إلى جدة كان في عام ١٨٠١م/١٢١٦هـ وقد اعتمد السباعي في معلوماته هذه على مخطوط «إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام» للشيخ عبد الله الغازي المكي أما محمد علي مغربي في مؤلفه «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية» فقد اعتمد على ما ذكره السباعي عن تاريخ وصول أول قنصل إنجليزي ولكنه في صفحات أخرى عندما اعتمد على «الجواهر المدة في تاريخ جدة» للحضراوي ذكر أن وصول أول قنصل إنجليزي إلى جدة كان في عام ١٨٣٦م/١٢٥٢هـ وقد وافق ذلك ما ذكره عبد القدوس الأنصاري في «موسوعة تاريخ جدة» بأن وصول أول قنصل إنجليزي إلى جدة كان في عام ١٨٣٦م/١٢٥٢هـ. أما محمد صادق دياب فقد ذكر في «جدة التاريخ والحياة الاجتماعية» أنه اعتمد على كتاب "Mecca" للبروفسور بيترز Peters وحدد عام ١٨٣٨م/١٢٥٤هـ بأنه العام الذي تم فيه تعيين الإنجليزي Alexander Ogilive ممثلاً رسمياً للحكومة البريطانية في جدة. وهو نفس اسم القنصل الذي ذكره صالح محمد العمرو في ملاحق مؤلفه "Rule 1869-1914 The Hijaz Under Ottoman" وبهذا تكون المراجع قد اختلفت في تحديد تاريخ بداية التمثيل القنصلي البريطاني في جدة بين ثلاثة أعوام هي (١٨٠١م/١٢١٦هـ) و(١٨٣٦م/١٢٥٢هـ) و(١٨٣٨م/١٢٥٤هـ) والحقيقة إننا بعد البحث في وثائق الأرشيف البريطاني الخاصة بجدة لم نوفق في الحصول على وثيقة تذكر بالتحديد تاريخ بداية التمثيل القنصلي في جدة. انظر: السباعي، أحمد. تاريخ مكة، ج ٢، ص ٤٦٠. المغربي، محمد علي. أعلام الحجاز، ج ٢، ص ٢٨، ص ١٥٨.

وزارة الخارجية البريطانية فقط<sup>(١)</sup>. ولقد مثل بريطانيا في جدة في الفترة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى عام (١٨٨٤م/١٣٠٢هـ) اثنا عشر قنصلاً أو نائب قنصل<sup>(٢)</sup> تركوا حصيلة وافرة من المعلومات القيمة<sup>(٣)</sup> عبر تقاريرهم التي كانوا يرسلونها إلى سفرائهم في العاصمة العثمانية أو إلى وزارة الخارجية بلندن في حالات قليلة، واحتوت هذه المعلومات على أمور تعلقت بالنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومعنى هذا أن هؤلاء القناصل ونوابهم أدوا دوراً خطيراً في مساعدة حكومتهم على رسم سياستها في البحر الأحمر واستفاد هؤلاء القناصل من جميع الفرص التي أتاحت لهم واستخدموا مختلف الوسائل لجمع المعلومات التي ارتكزت عليها حكومتهم عند التدخل في شؤون الدولة العثمانية بالشكل الذي مكنها من إدارة الدفة السياسية وفقاً لما يحقق مصالحها. والواقع أن التاريخ وقف شاهداً على مدى دهاء السياسة البريطانية وبراعة أجهزة استخباراتها السرية إلا أن هذا القناعة تعمقت لدينا بعد اطلاعنا على مجموعة من هذه الوثائق البريطانية التي تخص القنصلية البريطانية في جدة وظهر منها الدور السري الذي أدته في الفترة من عام (١٨٧٩-١٨٨٤م/١٢٩٧-١٣٠٢هـ). ومن خلال هذه الدراسة سنستعرض هذه الوثائق بعد ترجمتها وتقسيمها

---

الأنصاري، عبد القدوس. موسوعة تاريخ، ص ٢٩٢. دياب، محمد صادق. جدة التاريخ والحياة الاجتماعية - ط ٢ - جدة: دار العلم، ٢٠٠٣م، ص ٢١.

Al-Am, Saleh: The Hijaz Under Ottoman Rule 1869-1914, Ottoman Vali, The Sharif of Macca, and The Growth of British Influence (Riyad, The University of Riyad Press, 1978) P254.

(١) العمرو، صالح. «تقارير القناصل البريطانيين في جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و أوائل العشرين» الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (١٩٧٧م/١٣٩٧هـ) - الرياض: جامعة الرياض، (د.ت)، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) انظر قائمة بأسماء الممثلين الدبلوماسيين في القنصلية البريطانية بجدة ملحق رقم (١).

(٣) على الرغم من أن القناصل ونوابهم تركوا لنا معلومات قيمة، إلا أن هذا لم يمنع من وقوعهم في بعض الأخطاء والمبالغات التي كانت إما مقصودة أو غير مقصودة؛ بسبب عدم تأكدهم في بعض الأحيان من صحة المعلومات أو بسبب إخضاع تلك المعلومات لعواطفهم أو مصالحهم الشخصية؛ بالإضافة إلى اعتمادهم على الرواة الذين قد يصدقون أو يكذبون أو يبالغون.

إلى موضوعات التزمنا فيها بالتسلسل الزمني وتركنا للقارئ متعة قراءتها في صورتها الأصلية مع بعض التعليقات والتحليلات في هوامش الدراسة وقد تناولت وثائق الدراسة الموضوعات التالية:

#### الاتصالات السرية:

في ٢٥ أكتوبر (١٨٧٩م/١٢٩٧هـ) كتب القنصل البريطاني في جدة زوهراب Zohrab لسفارة حكومته لدى الباب العالي خطاباً جاء فيه: «لقد سبق أن كتبت لكم تقريراً عن القوات العسكرية في الولاية<sup>(١)</sup> وعدم كفاءتها لحفظ الأمن ودعم سلطة السلطان، وكان هذا الموضوع هو موضوع مناقشتي مع ناشد باشا<sup>(٢)</sup> منذ يومين. وقد وافقني جنابه الرأي على أن هناك حاجة لمزيد من القوات وقال لي أنه طلب بعد وصوله إلى هنا مباشرة من الباب العالي إرسال كتيبتي من المشاة وفصيلين من الخيالة ولكن لم يتم اتخاذ أي إجراء تجاه طلبه. كما طلب مني سيادته الآن بأن أرجو سيادتكم على حث الحكومة على ضرورة إرسال هذه المعلومات فوراً لها، ولكنه أضاف قائلاً بأنه لا ينبغي أن يعرف الباب العالي أن ذلك جاء بناءً على طلب منه (ناشد باشا)؛ لأنه في حالة إذا ما عُرف أن ذلك جاء بناءً على طلبه فلن ترحب الحكومة بذلك. يستمر ناشد باشا في القيام بتأدية عمله بصورة جيدة ويعمل على إدخال التغييرات على الإدارة التي سوف يترتب عليها حصول الحكومة على أموال. لذلك فهو نشيط جداً في إجراء الإصلاحات التي سوف يترتب عليها نتائج طيبة في الحالة الصحية في الولاية وإزالة الأسباب الكثيرة التي يشكو منها الأوروبيون في الحجاز<sup>(٣)</sup>. ولكي يتمكن ناشد باشا من تنفيذ ذلك فقد قال لي صراحة إنه ينبغي الحصول على دعمكم؛ لأنه بدون دعمكم لن يستجيب له الباب العالي، وأنه

---

(١) يبدو مما كتبه القنصل البريطاني أن دوره لم يكن يقتصر على التمثيل الدبلوماسي لدولته وإنما تعداه لجمع المعلومات عن القوات العسكرية العثمانية في الحجاز.

(٢) ناشد باشا. عين والياً على الحجاز في الفترة من (١٨٧٨-١٨٧٩م/١٢٩٦-١٢٩٧هـ). انظر: الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ص ٣٢٧.

(٣) تؤكد هذه السطور رضى القنصل البريطاني عن نشاط الوالي التركي ناشد باشا الذي يبدو أنه يعمل جاهداً لإزالة جميع الأسباب التي كان يشكو منها الأوروبيون.

يشعر بأنه يمكنه النجاح بدعمكم. وقلت له إنني متأكد أنكم سوف تقدّمون له ما يريد وإنني لن أفضل في إبلاغ رغبته لكم، وإنكم سوف تحافظون على ذلك السر<sup>(١)</sup> ويرغب ناشد باشا في أن تكون أخباركم عما يحتاج إليه من حكومته من خلالي، حتى يظهر ما يطلبه من الباب العالي على أنه جاء بناءً على طلبي. لقد أصبحت الحجاز الآن ولاية مكلفة جداً للحكومة العثمانية، حيث ينفق عليها ما يعد منجماً من الثروة على الموظفين الذين يرسلون إلى هنا. بينما إذا اتخذت إجراءات جيدة وأرسلت قوات عسكرية يمكن أن يتم تغيير كل ذلك، ولا بد أن يقوم الباب العالي بذلك إذا أراد أن يستعيد هذه الولاية لتصبح جزءاً فاعلاً من الإمبراطورية. وهو رأي ناشد باشا، وأشاطره الرأي من واقع خبرتي بأوضاع الحجاز<sup>(٢)</sup>.

مترجم القنصلية يوسف قدسي:

في ٢٦ أكتوبر (١٨٨٠م/١٢٩٨هـ) بعث القائم بأعمال القنصلية البريطانية بجدة تقريراً لسفارة حكومته لدى الباب العالي بخصوص شكوى قدمت ضد مترجم القنصلية يوسف قدسي<sup>(٣)</sup> وفي التقرير تمت الإشارة إلى الدور السري لمترجم القنصلية في كثير من الفقرات منها «حقيقة أن السيد قدسي لا يقرأ ولا يكتب ولكنه يتمتع بعدة مزايا أخرى تؤهله لمنصب مترجم في قنصلية جدة فهو يتحدث التركية والعربية والإيطالية

---

(١) من الواضح أن الوالي التركي ناشد باشا ارتبط بالقنصلية البريطانية بعلاقة أكثر حميمية من علاقته بالباب العالي ولهذا تبادل الطرفان الأسرار إلا أنه يبدو أن الباب العالي كان يجهل حقيقة تلك العلاقة ولهذا فبعد ولايته للحجاز والتي لم تزد مدتها على عام تم تعيينه والياً على جزر البحر الأبيض المتوسط ثم والياً على أزمير ثم والياً على سوريا وقد توفي بالشام. وعن المناصب التي أسندت لناشد باشا انظر: صابان، سهيل. مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني ٠ - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٢٢٠.

(2) F.O 195/1251 (236235) From Consul Zohrab to British Embassy in Constantinople, October 25, 1879.

(٣) يوسف قدسي وهو هندي مسلم وفي الوقت نفسه فهو من الرعايا الهنود البريطانيين. شغل منصب مترجم للقنصلية البريطانية بجدة ومن الوثائق البريطانية التي اطلعنا عليها اتضح لنا مدى ولائه للقنصلية البريطانية.

والألمانية والماليزية والهندية والإنجليزية بطلاقة وله أهميه كبرى في كل الأعمال التي قام بها سواء في مجال الحصول على المعلومات أو الحصول على الأخبار السياسية التي يتمتع بقدرة فائقة في جمعها نظراً لعلاقاته بمجتمع جدة».

كما ذكر القائم بالأعمال في التقرير نفسه «كون قدسي مسلماً فهو يستطيع الذهاب إلى مكة للاستماع إلى الأخبار ورؤية الأفراد الذين ينبغي مقابلتهم» وأضاف «إن هناك حقيقة معروفة في جدة وهي أن قدسي ليس فقط مترجماً ممتازاً، بل هو يتمتع بمواهب تتمثل في قدرته على الوصول إلى المعلومات والتحرك بين المسلمين وجمع الشائعات السياسية لأن سرعة التحرك تعد من المهام الأساسية الضرورية لهذه القنصلية<sup>(١)</sup>؛ بالإضافة إلى ميزة أخرى وهي أن مترجم القنصلية له خبرة في قوانين المحاكم العثمانية كما يجيد العمل نائباً للقنصل<sup>(٢)</sup>. هذا فضلاً عن كونه يستطيع التجول في مكة والأماكن الأخرى التي تحتاج إلى وجود ممثل للقنصلية»<sup>(٣)</sup>.

وفي ٤ يناير (١٨٨١م/١٢٩٩هـ) رد القنصل البريطاني في جدة بخطاب سري على وزارة الخارجية البريطانية بناءً على تكليفها له بالتحري عن موقف شريف مكة الشريف عبدالمطلب<sup>(٤)</sup> من إنجلترا. أشار القنصل أنه قام بإرسال مترجم القنصلية

(١) إن كل ما ذكره القائم بأعمال القنصلية عن طبيعة عمل قدسي لا يقف عند حدود عمل المترجم وإنما يتجاوزه إلى الحد الذي يصل به إلى أن يجمع المعلومات للقنصلية من جدة ومن مكة مستغلاً حقه الديني باعتباره مسلماً يستطيع أن يذهب إلى مكة وقت ما يشاء وبهذا نرى أن القنصلية البريطانية في جدة تجاوزت حدود العمل الدبلوماسي لتحقيق المصالح البريطانية.

(٢) يبدو أن القائم بالأعمال يلمح للسفير البريطاني بإمكانية أن يشغل المترجم قدسي منصب نائب القنصل وهو أسلوب التلميح دون التصريح وهو أحد الأساليب التي عرف بها الإنجليز.

(3) F.O 195/1314 (236365) From Acting Consul Burrell to British Embassy in Constantinople, No 42, October 26, 1880.

(٤) الشريف عبدالمطلب بن غالب آل زيد. تولى إمارة مكة المكرمة لثلاث فترات متفاوتة الأولى عام (١٨٢٧م/١٢٤٢هـ)، والثانية من عام (١٨٥٠-١٨٥٦م/١٢٦٧-١٢٧٣هـ)، أما الثالثة فهي من عام (١٨٨٠-١٨٨٢م/١٢٩٨-١٣٠٠هـ) والحقيقة أن التواريخ في المراجع متفاوتة عند موافقة التاريخ الهجري بالميلادي وبما أن كتاب الدحلان «خلاصة الكلام» يعتبر مصدراً معاصراً للأحداث فهو يذكر أن فترات إمارة الشريف عبدالمطلب على مكة كانت على النحو التالي: الأولي: (١٢٤٢هـ) وهي توافق (١٨٢٧م) بينما تذكر في بعض المراجع (١٨٢٨م)

يوسف قدسي إلى مكة للتحري بدقة عما إذا كان الشريف عبدالمطلب قد قال شيئاً معيناً خلال حفل العشاء الذي أقامه. ذكر مترجم القنصلية «إن الشريف عبدالمطلب تحدث بطريقة عدائية عن إنجلترا ولم يخفِ عداؤه لها وهو يريد إثارة المتاعب ضدها، ويعتقد أن التخلص من المسيحيين هو طريق المسلمين الوحيد»<sup>(١)</sup> ومن حسن الحظ أن الشريف عبدالمطلب لا يحظى بشعبية من قبل بعض العلماء الذين وقفوا منه موقف المعارضة ولكن نحن لدينا أصدقاء مثل عبدالله باشا<sup>(٢)</sup> ومن سدة الكعبة<sup>(٣)</sup> خاصة وأن الأضرار التي يمكن أن يسببها الشريف عبدالمطلب خطيرة. وقد تحدثت مع بعض الهنود خلال الشهر الماضي عن رأيهم في الشريف عبدالمطلب، فلم يذكر أي منهم كلمة واحدة في صالحه. سوف أتحدث عن سلوك الشريف عبدالمطلب تجاه مترجم القنصلية في رسالة أخرى، حيث إنني أرغب الآن في الاتصال بالوالي التركي الموجود في جدة بخصوص هذا الموضوع»<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة للفترة الثانية فيذكر الدحلان أنها تبدأ عام (١٢٦٧هـ) وهي توافق (١٨٥٠م) بينما تذكر المراجع أنه تولى في عام (١٨٥١م) وتنتهي الفترة الثانية عند الدحلان عام (١٢٧٢هـ) أي (١٨٥٥م) بينما تذكر المراجع أن فترته الثانية انتهت بالميلادي عام (١٨٥٦م) وبالنسبة للفترة الثالثة فيذكر الدحلان أنها تبدأ في عام (١٢٩٧هـ) الموافق (١٨٧٩م) بينما تذكر في الوثائق البريطانية أن فترته الثالثة تبدأ من عام (١٨٨٠م) وتنتهي في عام (١٨٨٢م) الموافق هجرياً (١٢٠٠هـ) وتشير الوثائق البريطانية إلى أن عزله تم في أغسطس ١٨٨٢م. انظر: الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام، ص ٣٠٤-٣٢٩. F.O. 195/1547. Report by Con- sul Jago. January 29. 1886.

(١) يتضح من الخطاب السري للقنصل البريطاني مدى كراهية الشريف عبدالمطلب بن غالب آل زيد لبريطانيا ويبدو أن هذه الوثيقة تنفي تماماً ما سبق وأن ذكرته بعض المراجع العربية والتركية من حيث أن الشريف عبدالمطلب بن غالب آل زيد كان يتعاون مع بريطانيا، حيث تدل عبارات خطاب القنصل على مدى كره الطرفين لبعضهما.

(٢) المقصود به الشريف عبدالإله بن محمد بن عبدالمعين بن عون ويكتب اسمه في بعض المراجع عبدالله وقد تولى إمارة مكة بالوكالة بعد عزل الشريف عبدالمطلب بن غالب آل زيد. انظر: الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام، ص ٣٢٩.

(٣) المقصود به شخص ينتمي إلى أسرة آل الشيبني وهم سدة الكعبة وتحفظ لديهم مفاتيح الكعبة المشرفة.  
(4) F.O 195/1375 (236533) From Consul Zohrab to Secretary of State for Foreign Affairs, Granville, No 1 Secret, January 4, 1881.



وفي ١٧ فبراير (١٨٨١م/١٢٩٩هـ) بعث القنصل البريطاني في جدة تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية عن ظروف طرد مترجم القنصلية من مكة وإرساله نسخة من الخطاب الذي قام بتوجيهه إلى الوالي التركي لمعرفة أسباب الطرد.

فقد ذكر القنصل في التقرير مايلي: قام الشريف عبد المطلب بطرد مترجم القنصلية من مكة، وعندما طلبت الأسباب فشل الوالي في تقديمها. إن الشريف عبد المطلب يكره رؤية أي مندوب قنصلي في مكة، ولا أعتقد أن شجاعته تبلغ حد الاعتراف بطرد يوسف أفندي علانية<sup>(١)</sup>. يبدو أن الوالي التركي قد تقبل هذا الموقف لذلك ليس في مقدوري إرسال أي موظف من القنصلية إلى مكة لمعرفة ما يحدث هناك حتى وصول التعليمات قبل التحرك في المستقبل. أتوقع أن يكتب الشريف عبد المطلب للباب العالي بعدم أحقية قنصل جدة في إرسال مندوب له إلى مكة. وإذا قبلنا هذا الاعتراض فسيكون من المستحيل للقنصلية مستقبلاً الحصول على المعلومات الصحيحة عن كبار الرعايا الهنود البريطانيين في مكة. كما لن يكون لبريطانيا دور في حماية مصالح الهنود البريطانيين عندما يعانون في مكة. حقيقة إن القنصل تم تعيينه لجدة فقط، ولكن لم يسبق لأحد من الأشراف ممن تولوا منصب الإمارة في مكة أن اعترضوا على مثل هذا التدخل، بل كانوا دائماً يستقبلون وكلاء القنصل بكل حفاوة وتقدير، ويكتفون برفض حق القنصل في التدخل فيما يتعلق بالسلطة القضائية في المدن المقدسة. كنت على علاقة ودية كبيرة مع شريف مكة السابق<sup>(٢)</sup> أطالب بالإبقاء على حق القنصلية في إرسال موظفيها إلى مكة وإنني على ثقة بأنكم قادرون على التأثير على الباب العالي ليأمر الشريف عبد المطلب بإظهار احترامه لمترجم القنصلية في أي وقت يذهب فيه إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

(١) من الواضح أن دهاء الشريف عبد المطلب بن غالب آل زيد جعله يكتشف الدور الخطير الذي يؤديه يوسف قدسي لصالح القنصلية البريطانية ولهذا لم يكن يرغب في وجوده في مكة.

(٢) المقصود الشريف الحسين بن محمد بن عبد المعين بن عون المعروف بالشهيد. تولى إمارة الحجاز في الفترة (١٨٧٧-١٨٧٩م/١٢٩٤-١٢٩٧هـ) ووفقاً لما كتبه القنصل يبدو أن الشريف المذكور قد ربطته علاقة صداقة

بالقنصل البريطاني زوهراب Zohrab.

(3) F.O 195/1375 (236533) From Consul Zohrab to Secretary of State for Foreign Affairs, No 13, February 17, 1881.

وجاء رد الشريف عبدالمطلب على الوالي التركي في نفس شهر فبراير وأرسل القنصل البريطاني نسخة من رد الشريف عبدالمطلب مع ترجمة له إلى السفارة البريطانية. كتب الشريف عبدالمطلب «وصلني خطابك المرسل إليك من القنصلية البريطانية في جدة للسؤال عن الأسباب التي دفعتني إلى القيام بطرد يوسف أفندي مترجم القنصلية البريطانية ودفعه إلى العودة لجدة. وأنت تسألني عن الدوافع التي أدت إلى قيامي بهذا حتى يمكنك القيام بالرد على القنصلية. عندما علمت أن المترجم المذكور وصل إلى مكة ونزل في ضيافة السيد عثمان نائب الحرم طلبت من السيد عثمان أن يخبر المترجم أن عليه العودة إلى جدة. وأنه لشيء مستنكر أن يطلب مني تفسير عن هذا الموضوع الذي يعد من الشؤون السياسية الداخلية للشريف والذي يمكن فقط إحالته إلي من الباب العالي لذلك فإنني مندهش لطلب القنصل هذا التفسير»<sup>(١)</sup>.

في ٣٠ إبريل (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) بعث القائم بالأعمال ب خطاب إلى السفارة البريطانية لدى الباب العالي يخبرها بأنه أصبح في مقدوره الآن إرسال تقارير عن مكة بواسطة مترجم القنصلية السيد يوسف قدسي<sup>(٢)</sup> الذي لا يحتاج إلى إصدار تعليمات من القنصلية كما أنه شخص موثوق به<sup>(٣)</sup>.

#### نائب القنصل الدكتور عبد الرزاق:

وفي ٩ نوفمبر (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) بعث القائم بالأعمال خطاباً إلى سفارة حكومته لدى الباب العالي ذكر فيه أن الوالي اعترض على تولية مسلم منصب نائب قنصل بريطانيا في جدة؛ لأن ذلك سيترتب عليه بما أنه مسلم حق زيارة مكة مما سيتيح له الحصول

(1) F.O 195/1375 (236533) From Crand Sheriff to Governor-General, February, 1881.

(٢) تم عزل الشريف عبدالمطلب بن غالب آل زيد للمرة الثالثة والأخيرة عن إمارة مكة في أغسطس (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) ولكن قبل العزل بفترة كان على خلاف شديد مع الوالي التركي عثمان نوري باشا ولعل هذا الخلاف هو الذي شغله عن متابعة تحركات مترجم القنصلية قدسي الذي عاد إلى مكة لممارسة نشاطه السري لصالح بريطانيا.

(3) F.O195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 8, April 30, 1882.

للحكومة البريطانية على قدر أكبر من النفوذ<sup>(١)</sup>. تم الاتصال بالدكتور عبدالرزاق<sup>(٢)</sup> الذي سيعين في هذا المنصب لكن دون الإشارة إلى أهمية الدور الذي سيقوم به في حماية الرعايا البريطانيين المسلمين في الحجاز. من الأفضل التمسك بحق القنصلية في حماية الرعايا البريطانيين المسلمين في كل أنحاء الحجاز. بعد إتمام إجراءات تولي الدكتور عبدالرزاق المنصب لن نتردد في إرساله إلى مكة. ذكر القنصل عبدالرزاق أنه في أثناء تأديته لفريضة الحج مع السيد دراجوا Dradjowau وجد قبولاً حسناً من جانب طبقات المجتمع المكي فيما عدا الموظفين الأتراك ولكنهم لم يعترضوا على وجودهم أو يقوموا بطردهم لكن الوالي طلب من السيد دراجوا مغادرة مكة وحجته أنه تسبب في نشر إشاعة مفادها إنه تم إنشاء قنصلية بريطانية في مكة وسوف يتبعها إنشاء قنصلية فرنسية إلى غيرها من القنصليات الأخرى عندما تطلب حكوماتها ذلك. وأشار نائب القنصل بأنه عندما صدر أمر الوالي كانوا هم يستعدون لمغادرة مكة إلى جدة<sup>(٣)</sup>.

#### الكتابة بالرموز السرية :

في ٢٨ مايو (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) كتب القائم بالأعمال في القنصلية البريطانية خطاباً مكتوباً بالرموز السرية لسفارة حكومته لدى الباب العالي خاص بمعلومات عن المساجين<sup>(٤)</sup>

(١) يبدو واضحاً مما ذكره القائم بالأعمال مدى رغبة بريطانيا في وجود عيون لها في مكة المحرم دخولها على غير المسلمين من قبل السلطات العثمانية ولهذا فكرت بريطانيا في إسناد منصب نائب القنصل إلى مسلم حتى يكون بمثابة عين لها في مكة ينقل الأخبار إلى قنصليتها بجدة.

(٢) الدكتور عبد الرزاق وهو طبيب هندي مسلم من الرعايا الهنود البريطانيين. تقلد عدة مناصب في القنصلية البريطانية بجدة من عام (١٨٨٢-١٨٩٥م/١٣٠٠-١٣١٣هـ). وهي نائب القنصل ثم القائم بأعمال القنصل ثم قنصل حتى مقتله عام (١٨٩٥م/١٣١٣هـ) وإضافة إلى هذه المناصب الرسمية، فقد اتضح لنا من بعض الوثائق البريطانية أنه كان له عيادة في جدة لمعالجة المرضى ويبدو أن هؤلاء المرضى كانوا أحد أهم مصادره لجمع المعلومات للقنصلية البريطانية.

(3) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 32, November 9, 1882.

(٤) المساجين وفقاً للوثائق البريطانية هم: مدحت باشا، ونوري باشا، ومحمود باشا وفي الغالب أن الخطاب المكتوب بالرموز السرية فيه معلومات عنهم في أثناء وجودهم في السجن العسكري في الطائف، حيث إن القائم بالأعمال كتب لسفارة حكومته بنفس التاريخ ٢٨ مايو (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) خطاباً رسمياً آخر ذكر فيه معلومات عامة

وإن المعلومات نفسها سبق وأن وصلت إلى لندن<sup>(١)</sup>. وفي ١٥ سبتمبر (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) بعث القائم بأعمال القنصلية البريطانية في جدة تلغرافاً إلى السفارة البريطانية لدى الباب العالي مكتوباً بالرموز السرية فيما يخص تعيين شريف جديد<sup>(٢)</sup> في منصب إمارة مكة من أسرة آل عون<sup>(٣)</sup>.

#### التلغراف في ولاية الحجاز - جدة :

في ٤ أبريل (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) كتب القائم بأعمال القنصل في جدة لحكومته يخبرها بوصول الشريف إلى جدة؛ ليضع الاتصال التلغرافي بالقسطنطينية<sup>(٤)</sup> موضع التنفيذ. وذكر بأن الأسلاك قد مدت بين مكة وجدة وسيكون مدها إلى سواكن هو الخطوة التالية وفقاً لتصريح أحد المسؤولين. وأن الأحوال الجوية قد جعلت أمر مد الأسلاك بين جدة والقاهرة عبر كسلا<sup>(٥)</sup> أمراً بعيد الاحتمال واللغة التي ستستخدم في عمليات التلغراف ستكون هي اللغة العربية فقط. وفي نظره أن هذا يمثل ميزة

---

عنهم. ولمزيد من المعلومات عن المساجين في الموضوع انظر: حتاته، يوسف كمال والدملوجي، صديق. مدحت باشا. مذكراته - محاكمته ١٠ ط١ - بيروت: الدار العربية للموسوعات ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

F.O 195/1375 (236533) From Acting Consul Moncrieff to British Embassy in Constantinople, August 10, 1881.

(1) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, May 28, 1882.

(٢) المقصود به الشريف عون الرفيق باشا الذي تولى إمارة مكة المكرمة (١٨٨٢-١٩٠٤م/١٢٠٠-١٢٢٢هـ).

انظر: جارشلي، إسماعيل حقي. أشراف مكة وأمرائها في العهد العثماني؛ ترجمة خليل علي مراد ١٠ ط١ - بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢م/١٤٢٤هـ، ص٢٢٦. الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام، ص٢٢٩.

F.O 195/1547. Report by Consul Jago. January 29, 1886

(3) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, September 15, 1882.

(٤) الملاحظ استخدام مسمى القسطنطينية من قبل الدبلوماسيين البريطانيين في جدة بالرغم من أن اسم المدينة

قد تغير إلى إستانبول بعد أن فتحها السلطان محمد الفاتح عام (١٤٥٣م/٨٥٧هـ).

(٥) كسلا: مدينه في السودان ولعرفه موقعها الجغرافي بالتحديد انظر: مؤنس، حسين. أطلس تاريخ

الإسلام ١٠ ط١ - القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٣١.

بالنسبة لحكومة الحجاز العربية<sup>(١)</sup>. ورفع القائم بالأعمال خطاباً آخر إلى سفارة حكومته في نفس اليوم أكد فيه ما جاء في خطابه الأول من معلومات بخصوص إيصال التلغراف بين مكة وجدة وذكر أنه سيتم إيصال الخط إلى سواكن وسيكون عن طريق كابل بحري<sup>(٢)</sup>. وفي ٢٠ أبريل (١٨٨٢/١٢٠٠هـ) بعث القائم بالأعمال خطاباً لسفارة حكومته أخبرها فيه أن والي الحجاز كتب إلى القسطنطينية بخصوص تفضيله الاتصال بكابل البحر الأحمر عن كابل سواكن، وسيتم إيصال التلغراف إلى مكة في ١٠ مايو عن طريق بحرة<sup>(٣)</sup> وفي ٢٠ مايو أرسل القائم بالأعمال خطاباً جاء فيه «أن تشغيل أول اتصال تلغرافي بين جدة ومكة تم في ١٨ مايو وكان منتظماً انتظاماً كاملاً، ولكن البدو قاموا بقطع الاتصال لفترة قصيرة إلا أن العمل به عاد من جديد. ورأى أن التجار هم أكثر فئة مستفيدة منه»<sup>(٤)</sup>. وفي ٢٩ أغسطس (١٨٨٢م/١٢٠٠هـ) أرسل القائم بالأعمال خطاباً أشار فيه إلى «أنه تم مد أسلاك الاتصال التلغرافي بين جدة وسواكن وكان هذا بجهود بعض الموظفين الذين وصلوا إلى جدة بتاريخ ٢١ أغسطس<sup>(٥)</sup>. وأفاد بأنه يشك بأن هناك اتصالات تلغرافية بين مكة والقسطنطينية»<sup>(٦)</sup>. وفي ١٦ سبتمبر (١٨٨٢م/١٢٠٠هـ) كتب القائم بالأعمال خطاباً في أثناء وجوده في سواكن أخبر فيه سفارة حكومته أن الأوضاع في سواكن مستقرة وأنه سيعود إلى جدة في حوالي عشرة أيام وذكر بأن استخدام التلغراف بين سواكن

(1) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Secretary of State Granville, No 2, April 4, 1882.

(2) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 14, April 4, 1882.

(3) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 19, April 30, 1882.

(4) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 23, May 20, 1882.

(٥) لم تذكر الوثيقة جنسية هؤلاء الموظفين أو أي معلومات عنهم.

(6) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 44, August 29, 1882.

وجدة لم يسمح به للعامة ولكنه نجح في الحصول على إذن باستخدامه»<sup>(١)</sup>. وفي ١ نوفمبر (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) حمل القائم بالأعمال لسفارته أخباراً جديدة مفادها: «أن اللغتين العربية والتركية»<sup>(٢)</sup> أصبحتا تستخدمان في الاتصال التلفرافي بين مكة وجدة وسواكن والقاهرة، كما نما إلى علمه بأنه سيتم فتح خط آخر من السودان ولكن بعد توفير موظفين يجيدون اللغات الأوربية»<sup>(٣)</sup>.

استدعاء الشيخ محمد رحمة الله العثماني إلى إستانبول (١٨٨٤م/١٣٠٢هـ):  
يذكر القنصل البريطاني في جدة في خطابه المؤرخ في ٢٦ فبراير (١٨٨٤م/١٣٠٢هـ) أن السلطان استدعى الهندي مولوي رحمة الله Moulvie Rahmatullah<sup>(٤)</sup> إلى القسطنطينية بعد ظهور ترجمة لكتابه المسمى «إظهار الحق» والذي سبق وأن نشره منذ عدة سنوات ولكنه لم يترجم إلى اللغة التركية إلا حديثاً<sup>(٥)</sup>. ويبدو أن السلطان

(1) F.O 195/1415(236533)From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, September 16, 1882.

(٢) كانت الضرورة تقتضي أن تكون البرقيات باللغة الفرنسية، فلما طورت أبجدية مورس عام (١٨٥٦م/١٢٧٣هـ) لتتوافق مع الأبجدية العربية بدأت عملية إرسال البرقيات بالتركية العثمانية (التي تكتب بالحرف العربي) انظر: أوغلي، أكمل الدين إحسان. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة: ترجمة صالح سعدواي -٠ إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٧١٩.

(3) F.O 195/1415 (236533) From Acting Consul Moncrieff to Ambassador Dufferin, No 53, November 1, 1882.

(٤) الاسم الصحيح هو الشيخ العلامة محمد رحمة الله العثماني صاحب كتاب: «إظهار الحق في الدفاع عن الدين الإسلامي». هاجر من الهند إلى مكة المكرمة وهو من المجاهدين ضد الاحتلال الإنجليزي للهند وتمكن بمساعدة سيدة ثرية من الهند تسمى «صولت النساء» من تأسيس المدرسة «الصولتية» عام (١٨٧٣م/١٢٩٠هـ). انظر السباعي، أحمد. تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٨٠-٥٨١. آل زيد، الشريف مسعود محمد. تاريخ مكة، ص ٢٦٣. مغربي، محمد علي. أعلام الحجاز، ج ٢، ص ٢٨٦-٣٠٣.

(٥) طلب السلطان عبدالحميد (١٨٦١-١٨٧٦م/١٢٧٨-١٢٩٣هـ) من الشيخ رحمة الله تأليف كتاب شامل عن الإسلام يحتوي على المباحث الجوهرية بين الديانتين الإسلامية والمسيحية مع إيراد نص المناظرة التي تمت بين الشيخ والقسيس فندر واستجاب الشيخ لطلب السلطان وعكف على تأليف كتابه إظهار الحق وهو كتاب من مجلدين استهدف فيهما جلاء حقيقة الإسلام وإبطال مزاعم اليهود والنصارى بالحجة والبرهان وتمت ترجمته إلى اللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية ثم إلى اللغة التركية وظهرت الترجمة تحت عنوان «إبراز الحق». انظر: مغربي، محمد علي. أعلام الحجاز، ج ٢، ص ٢٩٦.

أعجب بالكتاب بعد أن اطلع عليه ولهذا أرسل تلغرافاً إلى المؤلف في مكة يستدعيه<sup>(١)</sup> ويذكر القنصل أن المؤلف بيرهن في كتابه على صدق الرسالة المحمدية واعتبارها الديانة الوحيدة الحق بأدلة من نصوص الإنجيل وتنبؤاته<sup>(٢)</sup>.

### الخاتمة :

ومما سبق نرى كيف فرضت مصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية عليها الاهتمام بالبحر الأحمر طريقها إلى الهند درة التاج البريطاني. ومثل ميناء جدة لها أهمية خاصة، ومن واقع تلك الأهمية حرصت بريطانيا على أن يكون لها تمثيل قنصلي في جدة يستطيع من خلاله قناصلها أو نوابهم رعاية مصالحها عن قرب، ولكن يبدو أن تلك الرعاية تطلبت من أولئك القناصل أو نوابهم في كثير من الأحيان أن يتجاوزوا حدود عملهم القنصلي العلني إلى العمل السري حتى يستطيعوا أن يجمعوا

---

(١) يذكر القنصل البريطاني إن استدعاء السلطان للشيخ محمد رحمة الله عام (١٨٨٤م/١٢٠٢هـ) قد يكون بسبب إعجابه بالكتاب وهو أمر يتوافق مع السياسة الإسلامية التي انتهجها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م/١٢٩٣-١٣٢٧هـ) ولكن محمد علي مغربي في مؤلفه «أعلام الحجاز» ذكر أن «القنصلية الإنجليزية في جدة تعرف كثيراً عن ماضي الشيخ رحمة الله في محاربه التبشير (التصير) المسيحي .. تبث الرسائل ضد المدرسة (المقصود المدرسة الصولتية) ومؤسسها (المقصود الشيخ رحمة الله) فتنتشر الأراجيف عن الأغراض.. ولقد تأثر والي الحجاز عثمان نوري باشا : فكتب إلى القسطنطينية محذراً من الشيخ رحمة الله.. وجاء الأمر السلطاني على غير ما كان يتوقع الوالي فسادف الشيخ رحمة الله واستقبل في الأستانة استقبالا عظيماً». يتضح مما سبق أن للقنصلية البريطانية في جدة دوراً في التحريض على الشيخ رحمة الله بسبب مواقفه البطولية في مقاومة الاحتلال البريطاني للهند وكذلك تأليفه لكتاب إظهار الحق الذي وفقاً لما ذكره المغربي في «أعلام الحجاز» «إن جريدة لندن تايمز علقت على الكتاب» «لوداوم الناس على مطالعة هذا الكتاب لتوقف انتشار الدين المسيحي كلياً ولأبى الناس قبوله ورجعوا إلى الإسلام». نحن لا نستبعد أن يكون للقنصلية البريطانية دور في التحريض على الشيخ: لأنها في كثير من الأحيان كانت تتجاوز مهام التمثيل الدبلوماسي إلى مهام أكثر خطورة إلا أن ما نستبعده هو أن يكون استدعاء السلطان عبد الحميد الثاني - المتبني للسياسة الإسلامية - للشيخ رحمة الله لمعاقبته وفقاً لظنون واليه على الحجاز عثمان نوري باشا. انظر: مغربي، محمد علي. أعلام الحجاز، ج٢، ص ٢٩٧، ٢٠٢.

(2) F.O 195/1482 (236378) From Consul Jago to Ambassador Dufferin, No 7, February 26,1884.

أكبر قدر من المعلومات المهمة لحكومتهم وقد استخدم هؤلاء القناصل ونوابهم كثيراً من الوسائل لجمع المعلومات مثل استقطاب بعض ولاية الحجاز من الأتراك أو حتى أمراء مكة المكرمة من الأشراف ووثقوا علاقاتهم بهم عن طريق ما أطلقوا عليه في خطاباتهم أو تقاريرهم علاقات الصداقة أو الود؛ إلا أنهم في بعض الأحيان فشلوا في ذلك مثلما حدث مع الشريف عبدالمطلب بن غالب الذي استشعر خطرهم فوقف لهم بالمرصاد ومن ذلك طرده لمرجم القنصلية البريطانية يوسف قدسي من مكة المكرمة بعد ما أحس بالدور الخطير الذي كان يؤديه لصالح القنصلية البريطانية التي استغلت كونه مسلماً يستطيع دخول مكة المكرمة المحرمة على غير المسلمين من قبل السلطات المحلية العثمانية فأرادت أن تجعله عينها التي ترصد لها الأخبار وتنقلها إلى قنصليتها بجدة. كيف لا وفي مكة المكرمة يحدث أكبر تجمع ديني للمسلمين سنوياً لأداء فريضة الحج ومعهم مسلمو الهند الذين يرزحون تحت وطأة الاحتلال البريطاني .. ولهذا حرصت بريطانيا على تتبع أخبارهم حتى لا يقعوا تحت أي تأثير يجعلهم ينتفضون عليها عندما يعودون إلى الهند. ولم تتوقف وسائل هؤلاء القناصل عند حد الاستقطاب والاستغلال وإنما تعدتها إلى الكتابة بالرموز السرية خاصة عند إرسال أي معلومات بالغة الأهمية إلى السفارة البريطانية بإستانبول أو إلى وزارة الخارجية بلندن ونجح هؤلاء القناصل في الحصول على موافقة السلطات المحلية العثمانية لاستخدام خطوط التلغراف في الحجاز كما نجحوا في أحيان أخرى في تحريض السلطات المحلية العثمانية ضد بعض الأشخاص الذين شكلوا خطراً على المصالح البريطانية ومن ذلك استدعاء السلطان عبد الحميد الثاني للشيخ محمد رحمة الله إلى إستانبول وهو أحد المسلمين الهنود الذين جاهدوا ضد الاحتلال البريطاني للهند.



## الملاحق

### الملحق رقم (١)

جدول بأسماء الممثلين الدبلوماسيين في القنصلية البريطانية بجدة.

Ogilvie	ممثل شركة الهند الشرقية ونائب قنصل حتى (١٨٥٢م/ ١٢٦٩هـ).	اوغليف
Cole, C.J	ممثل شركة الهند الشرقية، ونائب قنصل من (١٩ نوفمبر ١٨٥٢م/ ١٢٦٩هـ) حتى (٢٠ نوفمبر ١٨٥٨م/ ١٢٧٥هـ).	سي. جي. كول
Page	تقريباً من (١٨٥٥-١٨٥٨م/ ١٢٧٢-١٢٧٥هـ) وقتل في اضطرابات جدة في (يونيو ١٨٥٨م/ ١٢٧٥هـ).	بيج
Stanley, G.E	نائب قنصل، وقنصل من (١٣ يونيو ١٨٥٩ - ٢٥ إبريل ١٨٦٤م/ ١٢٧٦-١٢٨١هـ).	جي. أي. ستانلي
Stevens, Richard	قنصل من (٣٠ يوليو ١٨٦٤ - ١٥ مارس ١٨٦٥م/ ١٢٨١-١٢٨٢هـ).	ريتشارد ستيفنس
Beyts. G	قنصل من (١٣ فبراير ١٨٧٤ - ١ نوفمبر ١٨٧٨م/ ١٢٩١-١٢٩٥هـ).	جي. بيتس
Wylde, A.B	نائب قنصل من (١٤ ديسمبر ١٨٧٥ - ٢٩ يونيو ١٨٧٨م/ ١٢٩٢-١٢٩٥هـ).	أي. بي. وايلد
Zohrab, James	قنصل من (٥ أكتوبر ١٨٧٨ - ١ يوليو ١٨٨١م/ ١٢٩٦-١٢٩٩هـ).	جيمس زوهراب
Burrell, William	القائم بأعمال القنصل من (٣١ يوليو إلى ٢ نوفمبر ١٨٨٠م/ ١٢٩٨هـ).	ويليام بوريل
Moncrieff, Commander L.N	القائم بأعمال القنصل من (٢٣ يوليو ١٨٨١ - ٦ نوفمبر ١٨٨٢م/ ١٢٩٩-١٣٠١هـ).	الكومندرال، ان. مونكريف
Jago, Thomas	قنصل من (١ أبريل ١٨٨٢ - ١٤ يوليو ١٨٨٢م/ ١٢٩٩-١٣٠٠هـ).	توماس ساسون. جاغو
Razzack, Abdur	نائب قنصل، القائم بأعمال القنصل، قنصل من (١٧ أغسطس ١٨٨٢م حتى مقتله في ٣٠ مايو ١٨٩٥م/ ١٣٠٠-١٣١٣هـ).	عبدالرزاق

الملحق رقم (٢)

Source: F.o 195/1251 (236235)

Date: 25 October 1879.

From Consul Zohrab to British Embassy in Constantinople.

*Secret*  
*Confidential*

*Nº 43*

*H. B. his consulate*  
*Jeddah, 25<sup>th</sup> October 1879.*

*Sir,*

*I have already reported to Your*  
*Excellency that the Military force*  
*in this Province is insufficient to*  
*maintain order and uphold the*  
*authority of the Sultan. This*  
*question formed the subject of a*  
*conversation I had with Rashid*  
*Pasha two days since. His Excellency*  
*quite agreed with me that more*  
*troops were required and he told*

*To*  
*His Excellency*  
*Sir H. Austin Layard G. C. B.*

*me*

1	2	ons	The National Archives	ins	1	2
ref: <b>FO 195/1251</b>			236235			
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets</small>						

me he had immediately after his arrival here applied to the Porte for a reinforcement of two Battalions of Infantry and two Squadrons of Cavalry, but no notice whatever had been taken of his request.

This Excellency now asks me to beg Your Excellency to urge on the Government the necessity of at once sending these reinforcements but he added the Porte must not be led to suppose that the demand of Your Excellency is made on his request, as that would, he well knew, be unfavorably regarded by

1	2	cms	The National Archives	ins	1	2
Ref: <b>Fo 195</b>		<b>1231</b>		<b>236235</b>		
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets</small>						

by the Government.

Nashid Pasha seems anxious to do his duty properly, and to introduce changes into the administration which will result in considerable <sup>is a</sup> pecuniary pecuniary gain to the Government. He is likewise very active, introducing ameliorations and reforms which if carried out must make a great and beneficial change in the sanitary condition of this Province, and remove many of those causes which have rendered the Hedjaz the Dread of Europe - To carry out these changes Nashid Pasha

1	2 cms	The National Archives	ins	1	2
Ref.:		FO 195/1251	236235		
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets</small>					

Pasha frankly says he must have  
Your Excellency's support as without  
it the Porte will not listen to  
him; but wish you to uphold  
him he feels confident of success.  
I told His Excellency that I felt  
certain Your Excellency would  
give him the aid he desired  
and that I would not fail  
to communicate his wishes and  
to make it clear that they  
should be kept secret. Nashid  
Pasha's idea is to inform  
Your Excellency through me  
of whatever may be required  
from the Government, so that  
the

1	2 cms	The National Archives	ins	1	2
Ref.: <b>Fo 195/1231</b>		<b>236235</b>			
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets</small>					

2<sup>nd</sup> Sheet the pressure which may be put on  
No 43 the Porte may appear to have  
been caused by my representations.

The Hedjaz has hitherto been  
a source of heavy expense to the  
Turkish Government and a mine  
of wealth to its employees who have  
been sent here. Firmness energetic  
action and a proper exhibition  
of force can change all this, and  
it is full time that the Porte  
make this change, if it desires  
to retain this Province as an  
integral portion of the Empire.  
Such is the opinion of Rashid  
Pasha

1	2	ons	The National Archives	1	1	2
Ref:		FO 195/1251		286235		
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets.</small>						

Pasha, and my experience enables  
me to confirm it.

I have the honor to be, with  
the greatest respect

Your Excellency's

most obedient

humble servant

*A. Schuch*

1	2 cms	The National Archives	ins	1	2
Ref.: <b>Fo 195/1251</b>		<b>236235</b>			
<small>Please note that this copy is supplied subject to the National Archives' terms and conditions and that your use of it may be subject to copyright restrictions. Further information is given in the 'Terms and Conditions of supply of the National Archives' leaflets</small>					

الموضوع: خطاب سري من القنصل البريطاني في جدة جيمس زوهراب James Zohrab إلى السفارة البريطانية في القسطنطينية

(إستانبول).

المصدر: (F.O 195/1251 (236235).

التاريخ: ٢٥ أكتوبر ١٨٧٩م / ١٢٩٧هـ.

مكان الحفظ: دار السجلات البريطانية العامة (P.R.O).

#### ترجمة الوثيقة

لقد سبق أن كتبت لكم تقريراً عن القوات العسكرية في الولاية وعدم كفايتها لحفظ الأمن ودعم سلطة السلطان، وكان هذا الموضوع هو موضوع مناقشتي مع ناشد باشا منذ يومين. وقد وافقني جنابه الرأي على أن هناك حاجة لمزيد من القوات وقال لي: إنه طلب بعد وصوله إلى هنا مباشرة من الباب العالي إرسال كتيبتين من المشاة وفصيلين من الخيالة ولكن لم يتم اتخاذ أي إجراء تجاه طلبه، كما طلب مني سيادته الآن بأن أرجو سيادتكم على حث الحكومة على ضرورة إرسال هذه المعلومات فوراً لها، ولكنه أضاف قائلاً: بأنه لا ينبغي أن يعرف الباب العالي أن ذلك جاء بناءً على طلب منه (ناشد باشا)، لأنه في حالة إذا ما عُرف أن ذلك جاء بناءً على طلبه، فلن ترحب الحكومة بذلك. يستمر ناشد باشا في القيام بتأدية عملة بصورة جيدة ويعمل على إدخال التغييرات على الإدارة التي سوف يترتب عليها حصول الحكومة على أموال؛ لذلك فهو نشيط جداً في إجراء الإصلاحات التي سوف يترتب عليها نتائج طيبة في الحالة الصحية في الولاية

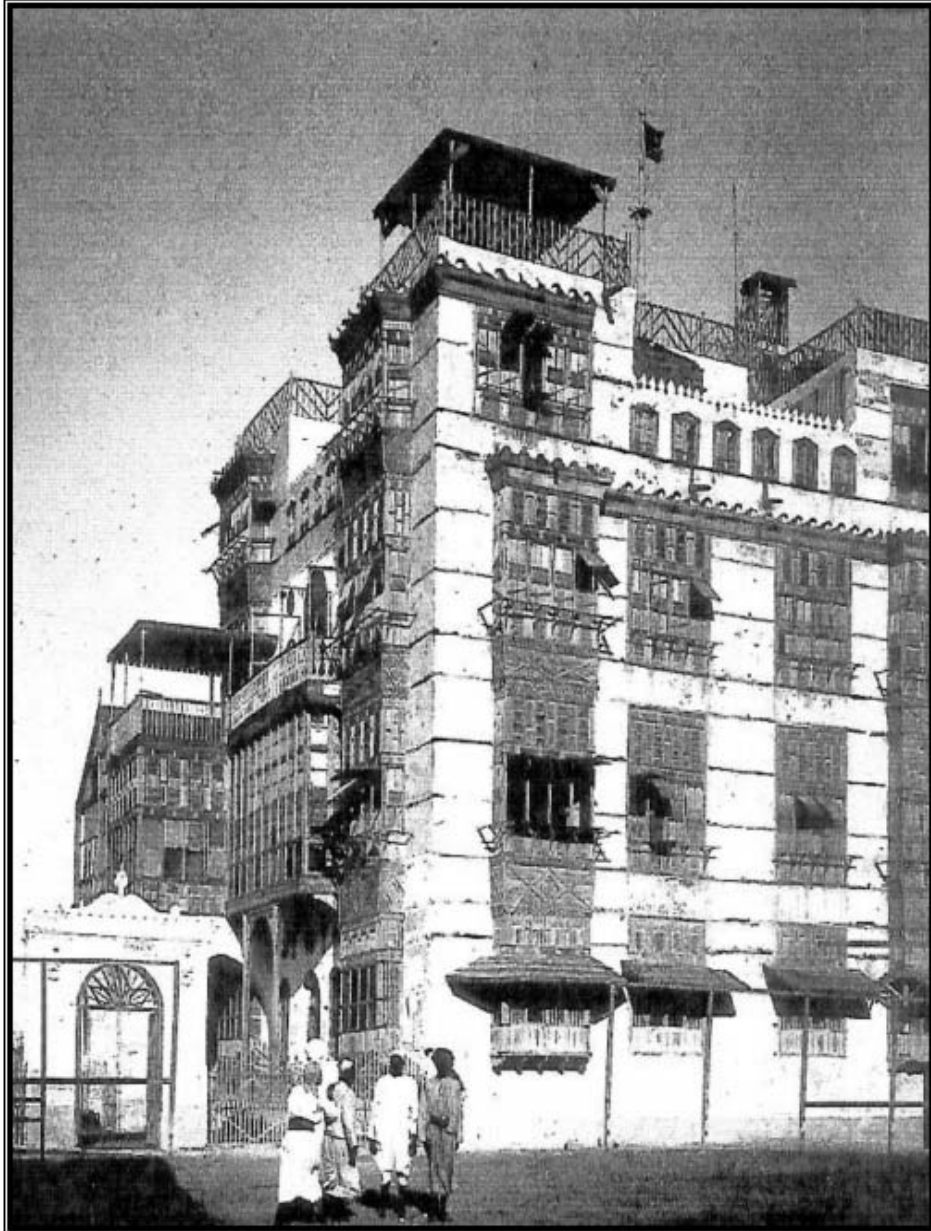


وإزالة الأسباب الكثيرة التي يشكو منها الأوروبيون في الحجاز. ولكي يتمكن ناشد باشا من تنفيذ ذلك فقد قال لي صراحة إنه ينبغي الحصول على دعمكم؛ لأنه بدون دعمكم لن يستجيب له الباب العالي، وأنه يشعر بأنه يمكنه النجاح بدعمكم. وقلت له إنني متأكد أنكم سوف تقدّمون له ما يريد وإنني لن أفشل في إبلاغ رغبته لكم، وإنكم سوف تحافظون على ذلك السر ويرغب ناشد باشا في أن تكون أخباركم عما يحتاج إليه من حكومته من خلالي، حتى يظهر ما يطلبه من الباب العالي على أنه جاء بناءً على طلبي. لقد أصبحت الحجاز الآن ولاية مكلفة جداً للحكومة العثمانية، حيث ينفق عليها منجماً من الثروة على الموظفين الذين يرسلون إلى هنا. بينما إذا اتخذت إجراءات جيدة وأرسلت قوات عسكرية يمكن أن يتم تغيير كل ذلك، ولا بد أن يقوم الباب العالي بذلك إذا أراد أن يستعيد هذه الولاية؛ لتصبح جزءاً فاعلاً من الإمبراطورية. وهو رأي ناشد باشا، وأشاطره الرأي من واقع خبرتي بأوضاع الحجاز.

جيمس زو هراب

الملحق رقم (٣)

صورة مبنى القنصلية البريطانية في جدة



## المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق غير المنشورة. Unpublished Documents

- دار السجلات البريطانية العامة, F.O 195/1314, 1375, Public Record Office (P.R.O). 1415, 1482, 1547

ثانياً : المصادر.

- الدحلان، أحمد زيني. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام - القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.

ثالثاً : المراجع:

(أ) مراجع باللغة العربية:

- أباطة، فاروق عثمان. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
- حتاتة، يوسف كمال، والدملوجي، صديق . مدحت باشا- مذكراته - محاكمته - ط ١ - بيروت: الدار العربية للموسوعات ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- دياب، محمد صادق . جدة التاريخ والحياة الاجتماعية - ط ٢ - جدة: دار العلم، ١٤٢٤هـ.
- آل زيد، الشريف مسعود محمد . تاريخ مكة في عهد الأشراف - ط ١ - القاهرة: دار القاهرة، (د.ت).
- السباعي، أحمد. تاريخ مكة، ج ٢ - ط ٨ - مكة المكرمة: الصفا، ١٤٢٠هـ.
- الشناوي، عبد العزيز . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، ج ٤ - القاهرة: الانجلو المصرية، (د.ت).
- صابان، سهيل . مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- المغربي، محمد علي . أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية، ج ٤ - ط ١ - جدة: دار البلاد، ١٤١٠هـ.
- المكّي، عبدالفتاح حسين رواه . تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام - الطائف: المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- الأنصاري، عبد القدوس . موسوعة تاريخ مدينة جدة -٠ ٢ -٠ القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(ب) مراجع مترجمة إلى العربية:

- أوغلي، أكمل الدين إحسان . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة: ترجمة صالح سعدواي، ج ٢ -٠ إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م.
- جارشلي، إسماعيل حقي . أشراف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني: ترجمة خليل علي مراد -٠ ط ١ -٠ بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

(ج) المراجع الأجنبية:

- Al-Amr, Saleh Muhammad, The Hijaz Under Ottoman Rule 1869-1914, Ottoman Vali, The Sharif of Macca, and The Growth of British Influence, (Riyad, The University of Riyad Press, 1978).

رابعاً : الدوريات.

- العمرو، صالح. «تقارير القناصل البريطانيين في جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين» الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) -٠ الرياض: جامعة الرياض، (د.ت).

خامساً : المعارف العامة.

- مؤنس، حسين . أطلس تاريخ الإسلام -٠ ط ١ -٠ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.